



تجري بعض الأطراف الإقليمية والدولية محاولات لتأهيل نظام الأسد وإعادته إلى الواجهة السياسية على اعتبار أن هذا الحل يمثل الخيار العقلاني والعملي الوحيد في هذا الظرف والضامن لمستقبل سوريا وأمن المنطقة، وذلك ضمن حسابات ورهانات معينة، فيما يبدو أنه محاولة للاستفادة من اللحظة السياسية الملتبسة والمركبة التي يمر بها العالم.

ثمة معلومات عديدة يجري تداولها في الإعلام تفيد بوجود جهد مصرى بهذا الخصوص غير معلن ولكنه حديث ويعمل على أكثر من اتجاه وفي أكثر من مكان.

ويقوم الجهد المصرى -وفقاً ما تسرب من مصادر عديدة- على إقناع بعض الدول الخليجية بقبول مصالحة مع نظام الأسد كمقدمة لإعادة تعويمه بذرعة إنقاذ النظام العربي بعد مرحلة الربيع وربط هذا الموضوع بجهود مكافحة التطرف الأصولي وإثبات أن لنظام الأسد دوراً مركزياً في هذا المجال وهو ما يحتم دمجه ضمن منظومة عربية أوسع قد يصار إلى تأسيسها في المستقبل المنظور.

كما كشفت روسيا على لسان وزير خارجيتها سيرغي لافروف عن رغبتها في إعادة إحياء مفاوضات جنيف ولكن وفق صيغته الأولى التي لا تمس وضع الأسد وترتजز على محاربة الإرهاب وإشراك المعارضة في حكومة وحدة وطنية، على أن تبقى الوزارات السيادية من حصة الأسد، ويذهب البعض إلى حد القول إن موسكو باتت في مرحلة رسم طاولة المفاوضات وإعداد برنامج التفاوض وخرائط الأطراف المتفاوضة.

السؤال البديهي الذي يتadarل للذهن أمام هذا التغير المفاجئ في قراءة الوضع السوري:

ما الذي حصل وشجع أصحاب المقاربات المذكورة على طرح أفكارهم للحل في هذا التوقيت؟ فيما لا يبدو أنه يمتلك خطوطاً كبيرة للنجاح على أرض الواقع، بل ثمة ما يؤكد عكس ذلك نتيجة تعقد الأوضاع وحالة التباعد بين الأطراف المتصارعة، حتى مقارنة بالمرحلة التي جرت فيها مفاوضات جنيف² والتي انتهت بفشل ذريع!.

تراهن الدبلوماسيان المصري والروسي على جملة من المعطيات الحاصلة في السياقين السوري والإقليمي، وتحاول على أساسهما اختبار الفرص الممكنة لنجاح تلك الرهانات ومن ثم فرض سياق تفاوضي على القوى الإقليمية والدولية يضمن إدماج نظام الأسد كخيار إلزامي في المرحلة المقبلة، مستغلتين في ذلك عدة عوامل:

- استغلال مرحلة خلط الأوراق التي أنتجهها الانشغال العالمي بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ومحاولة تمرير طروحات وأفكار معينة.

- اعتقاد مصر وروسيا أن المصالح الأمريكية باتت مهددة نظراً للتهديدات الأمنية التي أفرزتها الأزمة السورية على الدول الخمس المجاورة لها (تركيا والعراق والأردن ولبنان وإسرائيل) وهي ركيزة للمصالح الأمنية الأمريكية في المنطقة.

- تعرض الأمن الإسرائيلي - بعد الهدوء عقوباً طويلةً - لمخاطر حقيقة ومن أكثر من اتجاه (سيناء والجولان وغزة وجنوب لبنان)، ومحاولة الضغط على أميركا من هذه الخاصرة.

- حالة التشتبث في صفوف المعارضة السورية ومحاولة إقناع أميركا بلا جدوى بالبحث عن بدائل لنظام الأسد.

بالنسبة لمصر تدرج مسألة تأهيل نظام الأسد ضمن خطة واسعة لإعادة الدور المصري وترتکز على جملة من المحاور: بناء مجال إقليمي أمني وسياسي طارد لإخوان المسلمين في المنطقة من ليبيا غرباً إلى سوريا شرقاً، وخلق محور موازٍ لما تعتقد محاوراً مضاداً (قطري-تركي) تشكل سوريا جبهته الشرقية.

ومن شأن هذه الترتيبات - في حال نجاحها - إعادة فعالية الدور المصري كما يتصوره نظام السيسي في المرحلة الراهنة، خاصة بعد محاولة مصر ترويض الجانب الفلسطيني وإخضاعه لصالح الرؤية المصرية، ومحاولات مد جسور العلاقات مع لبنان ودمجه ضمن هذا الإطار بالتزامن مع فتح العلاقات مع السودان والترتيبات الأمنية مع الجزائر خاصة على صعيد محاربة الإسلاميين.

وتحاول مصر تمرير رؤيتها هذه عبر إعلامها ومراكز أبحاثها التي بدأت تروج دور عربي يمكن أن يقوم به نظام السيسي، وكذلك عبر محاولة تصديرها حقيقة أن الإرهاب الذي تجسده التنظيمات المتطرفة يشكل الخطر الأكبر على أمن وسلامة الإقليم والنظام الدولي برمته، ويقوم التكتيك المصري في هذا المجال على محاولة اللعب على وتر المخاوف الأمريكية والإسرائيلية، والعمل ضمن أجندتها، بل وطرح القضايا التي تعتقد أنها ترغبان بها ولكنها تتهيّبان طرحها نظراً لحساسيتها الإقليمية، وذلك ضمن لعبة سياسية مكشوفة، وفيما يبدو أنه رسالة إمكانية قبول لعب أدوار تألف الدولتان عن لبعهما.

أما روسيا فهي تسعى من خلال عودتها للساحة الإقليمية بعد غيابها السياسي الملحوظ نتيجة انهماكها بالوضع الأوكراني إلى إعادة فتح النوافذ في علاقاتها مع الغرب واختراق حالة الجمود، خاصة مع واشنطن، وتنطلق في طرحها هذا من تقديرها أن واشنطن ربما بحاجة لمثله في الطرف الراهن.

وتعتقد موسكو أيضاً أن فرصة إحداث تغييرات جديدة في المقاربة السورية تقوم على أساس التركيز على المعارضة الداخلية القريبة منها والتقليل من فعالية المعارضة الخارجية وتحويلها إلى طرف هامشي عبر الإيحاء بأنها مسؤولة عن ظهور تنظيم داعش وتمدده في المنطقة، مستغلة متابعة الأطراف المؤيدة للمعارضة السورية والخلافات الجارية بين أطرافها، لكن الهدف الأساسي لموسكو هو إعادة طرح نفسها كطرف إيجابي في النظام الدولي، واختبار مدى قبول الغرب مثل هذا التوجه الروسي على أمل فتح أبواب التفاوض أمام ملفات الخلاف المعقدة من أوكرانيا إلى العقوبات الاقتصادية وأسعار النفط المنخفضة.

تنفذ المقاربات المصرية الروسية على تقديرات صدرت من بعض المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار الأميركي، خاصة مؤسسة راند التي أصدرت تقريراً لها في أغسطس/آب ضمنته نتيجتين:

- أولاهما: أن التسوية المتفاوض عليها مع نظام الأسد لم تعد مشهداً مطروحاً بقوة بين مشاهد حل الأزمة السورية.
- وثانيهما: أن سقوط نظام الأسد - وهو مشهد صار أبعد احتمالاً - لن يكون في مصلحة الولايات المتحدة.

علماً بأن هذه النتيجة تم بناؤها على معطيات متحركة وغير ثابتة حصلت في المشهد السوري في مرحلة ما قبل صياغة رائد تقريرها، إضافة إلى حقيقة أن الكثير من تقارير المؤسسات الأميركيّة بخصوص الأوضاع في المنطقة صار محل شك كبير خاصة بعد اعتراف الرئيس باراك أوباما بأن بلاده أخطأ في تقدير مخاطر نشوء تنظيم داعش وتمده، والمعلوم أن الإدارة الأميركيّة تستند في جزء من عملية صناعة سياساتها إلى ما تنتجه تلك المؤسسات من تقديرات ودراسات.

مما لا شك فيه أن المقاربتين المصريّة والروسية تنطويان على تسريح واضح لتعقيدات الأزمة السوريّة وتأثيراتها العميقـة في الواقع الإقليمي بحيث لم يعد ممكناً اختزالها في بعض الأهداف الدعائية أو حتى الأمـنية لأطراف معينة، إذ لم تعد خافية جملة التحوـلات الجذرية التي حصلـت في عـمق الأوضاع الاجتماعية والحقائق السياسيـة، مما لا يسمح بعودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الثورة السوريـة، وهو ما تحاول مصر وروسيا إعادة عبر تـرقـيعـات لم يكن بالإمكان قبولـها في وقت أـبـكرـ من ذلك بكثيرـ.

فـلو كان الأمر ممكـناً لما ترددت أمـيرـكاـ التي تنـخرـطـ اليـومـ بالـصـراـعـ في طـرـحـهاـ وـمـحاـوـلـةـ فـرـضـ سـيـاقـ منـاسـبـ لإـدـماـجـهاـ فيـ وـاقـعـهـ. عـلاـوةـ عـلـىـ ذـلـكـ، لاـ تـمـلـكـ المـقـارـبـاتـ الـسـابـقـاتـ أيـ رـكـائزـ إـقـلـيمـيـةـ تـسـاعـدـ عـلـىـ إـنـجـاحـهـماـ نـظـرـاـ لـتـعـارـضـهـماـ معـ رـؤـيـةـ أـغـلـبـ الأـطـرافـ الإـقـلـيمـيـةـ بماـ فـيـهاـ الطـرـفـ الإـيـرـانـيـ الدـاعـمـ لـنـظـامـ الـأـسـدـ وـالـذـيـ يـرـىـ أنـ أيـ طـرـحـ منـ خـارـجـ عـبـاءـتـهـ لـنـ يـكـونـ منـاسـبـ لـهـ وـلـ مـوـاتـيـاـ لـتـرـتـيبـاتـ بـخـصـوصـ الـمـنـطـقـةـ وـمـسـارـ تـفاـوـضـاتـهـ، وـلـ اـعـتـقـادـهـ أـنـ أيـ تـفـاهـمـاتـ بـعـيـدةـ عـنـهـ سـيـجـرـيـ بـنـاءـ تـرـتـيبـاتـ موـازـيـةـ لـهـاـ سـتـؤـديـ إـلـىـ خـرـوجـهـ مـنـ مـنـطـقـةـ النـفـوذـ السـوـرـيـ لـصـالـحـ الـأـطـرافـ الـمـسـاـهـمـةـ فـيـ الـحـلـ.

الـوـاقـعـ أـنـ أيـ حلـ لـلـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ يـتـطـلـبـ حـلـاـ إـقـلـيمـيـاـ شـامـاـ، يـنـطـوـيـ عـلـىـ إـعادـةـ صـيـاغـةـ النـظـامـ الإـقـلـيمـيـ بـرـمـتهـ وـإـعادـةـ التـوـافـقـ لـلـنـظـامـ الدـولـيـ الـذـيـ تـشـبـكـ أـطـرافـهـ فـيـ أـكـثـرـ مـوـقـعـ وـقـضـيـةـ، وـهـوـ مـاـ يـبـدوـ أـكـبـرـ مـنـ تـوـقـعـاتـ السـيـسـيـ وـبـوـتـينـ، إذـ لـمـ يـسـتـطـعـ السـيـسـيـ الـوـصـولـ إـلـىـ مـرـتـبةـ طـرـفـ مـؤـثرـ فـيـ الدـاخـلـ الـمـصـرـيـ نـفـسـهـ وـلـمـ يـسـتـطـعـ مـواـجـهـةـ التـحـديـاتـ الـعـدـيدـ الـتـيـ تـنـتـصـبـ فـيـ وـجـهـهـ، وـلـمـ يـسـتـطـعـ بـوـتـينـ أـنـ يـكـونـ سـوـىـ قـوـةـ إـقـلـيمـيـةـ عـارـيـةـ تـسـتـنـدـ إـلـىـ عـائـدـاتـ الـنـفـطـ الـمـتـرـاجـعـةـ أـسـعـارـهـاـ لـتـسـيـرـ شـؤـونـهـ الـدـاخـلـيـةـ، فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ تـأـكـلـتـ قـوـةـ نـظـامـ الـأـسـدـ لـدـرـجـةـ حـولـتـهـ إـلـىـ مـلـيشـيـاـ تـمـتـلـكـ قـوـةـ جـوـيـةـ فـيـ طـرـيقـهـ إـلـىـ التـلاـشـيـ.

الجزيرة

المصادر: